تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

خصوصيتها في المثلث الفلسطيني ـ السوري ـ اللبناني

مصر متمسكة بالإستقرار وتبديد السلبية

ولجت مصر منذ ست سنوات الى مرحلة "عبور الصحراء"، منكفئة على مشاكلها واوضاعها المضطربة، ومتخلية قسرا عن دورها القيادي في العالم العربي وشمال افريقيا. ثم دخلت في مرحلة استعادة دورها الاقليمي انطلاقا من ثلاث دول هي فلسطين وسوريا ولبنان، ومن ثلاثة ملفات: القضية الفلسطينية ـ الحرب السورية ـ الازمة اللبنانية

بدأت القاهرة تخطو خطوات عملية على طريق استعادة دورها من الباب الفلسطيني الواسع، وتحديدا غزة، ومن النافذة السورية الضيقة وتحديدا دمشق. في الملف الفلسطيني تتقدم وتحقق اختراقات نوعية بالتنسيق مع الولايات المتحدة. وفي الملف السوري تطل عبر انجازات رمزية ذات مغزى بالتنسيق مع روسيا. في الملف اللبناني تمارس دورا ايجابيا ونافذا من ثغرة الصراع الايراني ـ السعودي.

> **"رأب الصدع الفلسطيني مقدمة لاستئناف عملية السلام"**

توقيع اتفاق المصالحة الفلسطينية واعلانه رسميا في القاهرة بين حركتي "فتح" و"حماس" كان اعلانا عن استعادة مصر عافيتها الاقليمية، ودورها القيادي على الساحة العربية. الاتفاق الفلسطيني يعد اتفاقا تاريخيا لانه يطوي صفحة الانقسام الجغرافي والسياسي وحقبة سوداء انهكت الفلسطينيين ودمرت قضيتهم. ويعتبر ايضا انجازا لمصر التي نجحت في تحقيق اختراق مهم في الازمة الفلسطينية وفي ان يكون لها الدور المحوري في اعادة تحريك مفاوضات السلام وتهيئة الارضية الفلسطينية لها عبر احتواء "حماس"، وتمكين السلطة من العودة الى غزة، وتوفير ظروف الذهاب الى المفاوضات بموقف واحد وحكومة واحدة تحت عنوان عريض هو السلام الاقليمي وحل الدولتين. وهو ما يصب في خدمة الخطة الاميركية الجديدة لادارة الرئيس دونالد ترامب. في الواقع، تعمل مصر على الهدف الابعد من المصالحة الفلسطينية، اذ ان رأب الانقسام الفلسطيني هو بداية مرحلة تمهد لسلام عادل بين الفلسطينيين والاسرائيليين.

تطرح القاهرة ضرورة استئناف المفاوضات في موازاة اتمام المصالحة الفلسطينية، واحياء عملية السلام على اساس حل الدولتين وقيام دولة فلسطينية مع توفير الضمانات اللازمة لانجاح التسوية. لكن من المستبعد احراز اي تقدم فعلي في هذه المرحلة على صعيد احياء المفاوضات الاسرائيلية ـ الفلسطينية. فالتحسن الحاصل في وضع المفاوض الفلسطيني، في حال انهاء الانقسام الداخلي، لا يكفي في ظل استمرار التشدد الاسرائيلي الذي يطرح شروطا اولها اعتراف "حماس" بدولة اسرائيل، اضافة الى تعديل بنديين رئيسيين في المبادرة العربية للسلام: الاول يتعلق باسقاط حق العودة واستبعاد المطالبة بعودة هضبة الجولان الى سوريا باعتبار انه لا يوجد طرف سوري واضح يمكنه استعادتها في الوقت الراهن، والثاني يتعلق بالتطبيع العربي مع اسرائيل قبيل بدء اجراءات التسوية خلافا لما تنص عليه المبادرة العربية.

على خط الازمة السورية دخلت مصر المشهد منذ ان لاحت بوادر تسوية مؤجلة وانطلقت مرحلة نهاية الحرب وبداية التسوية، وظهر دور القاهرة في المفاوضات بين المعارضة المسلحة والنظام، في ما يتعلق بما بات يعرف بمناطق التهدئة، بموافقة روسية وسعودية. روسيا في حاجة الى دور عربي تحت مظلتها في الازمة السورية، في موازاة الدورين الايراني والتركي. من ناحية ثانية، يبدو ان السعودية بعد استكمال ادارة ترامب لما بدأته الادارة السابقة بتسليم الملف السوري الى الروس، ترى ضرورة حضور عربي رسمي في الازمة السورية وقد دخلت هذا المنعطف الحساس. علاقة الرياض بكل من النظام السوري، وراعيته ايران، لا تسمح لها بأن تكون هي الطرف العربي المطلوب. في هذا السياق، يبدو ان الرؤية السعودية والروسية التقت على اهمية ان تتولى مصر هذا الدور الذي ترجم قبل اسابيع في اتفاق وقف النار وخفض التصعيد في منطقة جنوب دمشق، برعاية مصرية وبضمان روسي.

يستجيب هذا التطور ميل القاهرة الى اداء دور في ازمة بلاد الشام، والتي يعنيها ان تستعيد دورها في الاقليم من الباب الذي يوفر لها هذه العودة. فهي لم تقطع العلاقة السياسية والامنية مع النظام في دمشق، لكنها في المقابل افسحت في المجال لقسم من المعارضة سمي باسمها "منصة القاهرة". وهي تعرف انها لاعب يرغب فيه طرفا الصراع الداخلي، فضلا عن اللاعبين الدوليين، الولايات المتحدة وروسيا التي ايدت تدخلها. منذ اطاحة نظام "الاخوان المسلمين" في مصر، نقل الرئيس عبد الفتاح السيسي خطواته بدقة حيال الازمة في سوريا. ابقى الخطوط مفتوحة مع دمشق، لكنه لم يفتح الباب نحو ايران. وازن بين علاقاته مع دول الخليج العربي وموقفها من النظام ومن تمدد طهران.

ويرى مراقبون ان مصر لم تكن يوما ضد النظام السوري، وان موقفها يكتنفه شيء من الغموض حيال مستقبل الرئيس بشار الاسد في الحل النهائي المنشود للازمة السورية. وينطلق من ثلاثة هواجس:

- الاول: معارضة وصول "الاخوان المسلمين" والمعارضة الاسلامية عموما الى الحكم في سوريا، وذلك لكسر اي طوق اخواني قد يحوط بمصر في حال وصول اي من هؤلاء الى الحكم هناك.
- الثاني: تفضل بقاء السلطة في يد الجيش السوري حتى لا تبقى البلد الوحيد الذي يحكمه الجيش.
- الثالث: ان لا يفضي الحل النهائي في سوريا الى تعزيز نفوذ دول اقليمية على حساب مصر.

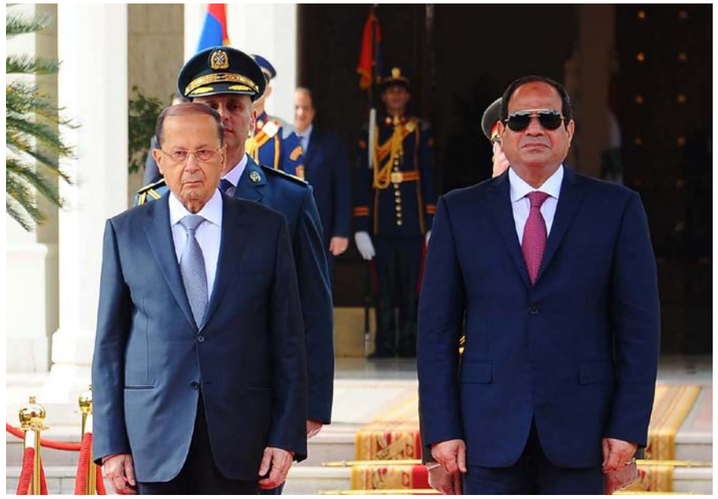

الرئيس السيسي حريص على استقرار لبنان وامنه السياسي.

هنا يتقاطع الموقف المصري في غموضه وتفاصيله مع الموقف الروسي، ويختلف في حدوده واهدافه النهائية مع الموقف التركي، ويكاد يتناقض مع الموقف الايراني. كانت تركيا ترى ضرورة رحيل الاسد، لكن بعد تقاربها مع روسيا واتفاقها مع ايران حيال الموضوع الكردي في كل من العراق وسوريا، تغير هذا الموقف القاطع واصبحت تفضل الغموض، وتلتزم الصمت في شأن مستقبل الاسد. اكثر المواقف وضوحا هو الموقف الايراني، اذ ترى طهران ان لا حل في سوريا من دون بقاء الاسد.

يبقى ان هناك واقعا اخر هو ان روسيا التي لم تقطع هي الاخرى لقاءاتها وتفاهماتها مع شريكيها في استانة، تبني علاقات موازية مع اطراف اخرين، بهدف توسيع دائرة المعنيين بالازمة في سوريا لتظل لها الكلمة العليا. وقد شاركت وتشارك اسرائيل والاردن والولايات المتحدة، وها هي اليوم تستعين بمصر طرفا يحل محل النظام الذي كان يفترض ان يضع يده على الغوطة الشرقية ما دام ان اهلها ضاقوا ذرعا بالمقاتلين وحروبهم.

اما في الملف اللبناني، فان مصر المبتعدة عن لبنان منذ سنوات في اطار انكفائها الاقليمي، عادت ومنذ تسلم السيسي مقاليد الحكم، ترفع درجة اهتمامها بالوضع فيه، ان لجهة المساهمة في اعادة ترتيب البيت الداخلي للطائفة السنية، وهذا ما برز خصوصا في رعاية عملية انتخاب الشيخ عبد اللطيف دريان مفتيا للجمهورية اللبنانية، وفي تعزيز الروابط مع مختلف القوى والقيادات وحيث كان للقاهرة دور بارز في دفع التسوية الرئاسية، او لجهة المساهمة في تعزيز الاستقرار السياسي والوفاق الوطني. وهذا ما ظهر عندما استجدت الازمة السياسية بعد استقالة الرئيس سعد الحريري وانطلقت اولى مساعي التهدئة والاحتواء من مصر ومن اجتماع عقده السيسي مع الرئيس نبيه بري. وفي مقابل التصعيد السعودي والذهاب في اتجاه مواجهة مفتوحة مع حزب الله والتلويح باجراءات قاسية في حقه.

يجب الحفاظ على لبنان من دون تدخل خارجي.

في الواقع، مثلما عملت ايران على ملء الفراغ السوري في لبنان بعد العام 2005، عملت مصر في السنوات الاخيرة على ملء الفراغ السعودي في لبنان منذ ان قررت الرياض الانكفاء عن الساحة اللبنانية في اتجاه ساحات وملفات اخرى اكثر اهمية بالنسبة اليها في اليمن والبحرين وسوريا. لكن مصر تحتفظ بسياسة خاصة متمايزة في لبنان تهدف اولا الى ابعاده عن المحاور والصراعات الاقليمية، وثانيا الى ترسيخ استقراره وامنه السياسي.

الموقف المصري من التطورات والازمة الراهنة في ضوء استقالة الحريري من السعودية، كان موقفا حذرا وعكسه السيسي في مقابلات اعلامية سئل فيها عما اذا كانت مصر في صدد القيام بخطوات خاصة بها ضد حزب الله، فاجاب: "الحديث هنا يجب ان لا يدور حول اتخاذ خطوات او عدم اتخاذها، بل حول هشاشة الاستقرار في المنطقة لان الوضع لن يحتمل مزيدا من الاضطراب".

وسئل ايضا ما اذا كان يخشى من تدهور الوضع في لبنان؟ اجاب: "لبنان بطبيعته دولة متعددة متنوّعة التركيبة. التوازن في لبنان شرط من شروط الاستقرار، ولا بد من الحفاظ عليه من دون اي تدخل خارجي. سبق وقلت ان ضعف الدولة الوطنية يفسح في المجال للاضطراب والفوضى. اعتقد ان التجارب السابقة ستدفع اللبنانيين الى انقاذ استقرارهم الذي يعنينا كثيرا، فاستقرار لبنان مهم لنا وللعالم العربي".

السيسي، وفي خلال لقائه مع بري في شرم الشيخ، دعا الى التهدئة والمحافظة على الاستقرار في الداخل اللبناني. وطلب منه بري المساهمة في رد اي تداعيات محتملة تنتج من الاستقالة، فكرر الرئيس المصري تمسك بلاده باستقرار لبنان وسيادته وامنه الداخلي، مع تأكيده ان مصر تدرك المخاوف الناجمة عن الاستقالة، وستعمل على تبديد اية اجواء سلبية.